المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الشريعة و الدراسات الإسلامية
قسم الراسات العليا
فرع الفقه و أصوله

تحقيق و دراسة :

كتاب البيوع والصرف والإجارات والشركة والمأذون والوكالة
و القسمة و الغصب و الكفالة و المضاربة و المزارعة و الوقف

من :

كتاب الأسرار

للقاضي أبي زيد عبيد الله بن عمر الدبوسي الحنفي (٤٣٠ هـ)

إعداد :

شرف الدين علي قالاي

إشراف :

فضيلة الدكتور : يوسف محمود عبد المقصود

رسالة مقدمة إلى قسم الدراسات العليا الشرعية
لنيل درجة الدكتوراة في الشريعة الإسلامية

١٤١٣ - ١٤١٤ هـ = ١٩٩٢ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ذى الجلال و الإحسان و الفضل و المنن العظام الذى هدانا للإسلام .

و الصلاة و السلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين و هداية للناس أجمعين و على آله و أصحابه الغر الميامين و من سار على نهجهم و اتبع هداهم إلى يوم الدين .

و بعد :

إن هذه الرسالة تتضمن دراسة و تحقيق جزء من كتاب الأسرار للقاضى أبى زيد عبيد الله ابن عمر الدبوسى المتوفى سنة ٤٣٠ هـ .

و قد ألف - رحمه الله - هذا الكتاب النفيس فى فقه الخلافيات فى الفروع ، و على وجه الخصوص فى المسائل الخلافية بين الإمام أبى حنيفة و الإمام الشافعى ، و المسائل الخلافية بينه و أصحابه أبى يوسف و محمد بن الحسن و زفر -رحمهم الله جميعاً-.

و قد اشتملت الرسالة على قسمين :

الأول : تضمن دراسة عن المؤلف و دراسة عن الكتاب و منهج تحقيقه .

و الثانى : تضمن تحقيق نص كتاب البيوع والصرف والإجارات والشركة والمأذون والوكالة و القسمة و الغصب و الكفالة و المضاربة و المزارعة و الوقف من كتاب الأسرار .

إن المؤلف غالباً يقدم القول الراجح لديه من بين الأقوال التى يذكرها و يناقشها ، ثم قول الخصم ، و يعقبه بأدلة مذهبه فى غاية الإنصاف و الدقة ، ثم ينتقل إلى أدلة القول الأرجح بالإتقان و بالتركيز على سر الخلاف و أصل المسألة مع الرد على مذهب الخصم بعبارة متقنة رصينة و نزيهة عن القساوة الجافة.

و فى الأغلب يظهر ترجيحه فى آخر المسألة و تقدير قول الخصم بأسلوب فى غاية الدقة و الأدب.و يقع ترجيحه على قول أبى حنيفة - رحمه الله - سواء أكان الخلاف بينه و الإمام الشافعى أم بينه و أصحابه - رحمهم الله -.

و قد تتميز عباراته فى الأخذ و الرد بالليونة و الإحساس باحترام أسلافه. كذلك تتميز طريقته فى الإستدلال بالقوة و الفهم الدقيق و الدراية و الثقة بالنفس. و يتضح ميله إلى الغوص فى المناقشات الأصولية و ربط المسائل بالقواعد الفقهية و إكثار الأمثلة و النظائر فى بيان المسائل. و الله أعلم .

و أسأل الله أن يرزقنا فقهاً فى الدين و حسن اليقين. و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

و الصلاة و السلام على سيد الأنبياء و المرسلين .

الطالب	المشرف	العميد
شرف الدين على قالاى	أ.د. [illegible]	عميد كلية الشريعة والدراسات الاسلامية
		د. محمد بن ضامل السلمى

الجـــزء الأول

قسم الدراســـة

قســـــم التحقيق

* كتــاب البيــوع

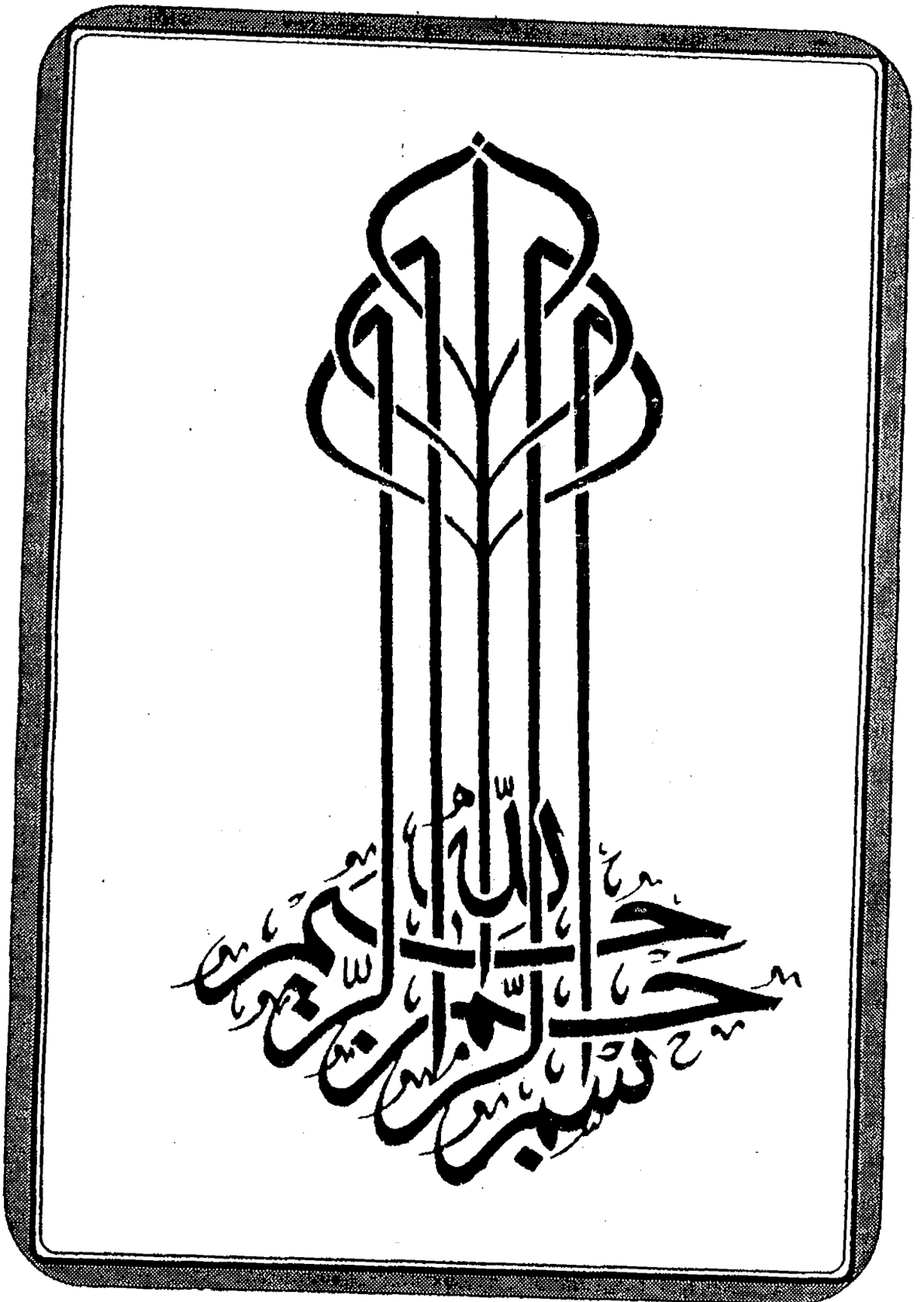
بسم الله الرحمن الرحيم

شـــكر و تقـديـر

الحمد لله رب العالمين على نعمـه التى لا تحصـى و أشكره على مزيد فضـله ، و أصـلى و أسـلم على سـيد الأنبيـاء و المرسـلين و على آله و صحبه أجمعين .

ثم أقدم شـكرى و تقديرى

* إلى مسؤولـى جامعـة أم القـرى و إلـى راعـاة شـئونـها الذيـن فتحـوا لنـا صدورهـم و مكنونا من تحصيل العلم بمهبط الوحى البلد الأمين فى ظل بيت الله العتيق قبلة المسلمين.

و أسأل الله أن يجزيـهم كل خير لقاء ما قدموا و أحسنوا ، إنه سميع مجيب .

و إلـى جميع من مد لـى يد الـعون من قريب و بعيـد .

* و أخص بأخلص الشكر و التقـدير أسـتاذى فضـيلة الدكتـور يوسـف محمـود عبدالمقصـود الذى قدم لـى الـعون بأحسـن وجـه و لم يـبخل على بنصـح و لا بتوجيـه و لا بوقت .

كما أخص بجزيل الشـكر و وافر التقدير أستاذى فضـيلة الدكتور محمود العكازى لما بذل فى الإشـراف على هذه الرسالة فى مرحلة من مراحلها من جهد و مـا أوصـى بـه من دقة فى كل عمل ...

وفق الله الجميع لما يحبه و يرضـاه و جعل العمل خالصاً لوجهه الكريم ...

●

مقـــدمة البحـــث

بســـم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أحل البيع وحرم الربا، وجعل لنا الفرقان شرعة ومنهاجا وهدى ورحمة ،وأمرنا بطاعته وطاعة رسوله وأولى الأمر منا،وإذا تنازعنا فى شىء أن نرده إلى الله والرسول،وباجتناب الطاغوت والتحاكم إليه بقوله : ﴿يآ أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم، فإن تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، ذلك خير وأحسن تأويلا، * ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به.ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا* وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا*﴾ (١) وبقوله : ﴿ ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت، فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة.فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين*﴾(٢) ، و زجرا عن أكل أموالنا بيننا بالباطل بقوله الكريم : ﴿يآ أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل، إلا أن تكون تجارةً عن تراض منكم، ولا تقتلوا أنفسكم، إن الله كان بكم رحيما* ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا، وكان ذلك على الله يسيرا*﴾(٣)

والصلاة والسلام على رسول الله محمد الذى لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى، أصّل الشريعة وفصّل الأحكام وجعل من سنته سراج هداية للأنام...

---

١ ـ سورة النساء - ٥٩-٦١

٢ ـ سورة النحل - ٣٦

٣ ـ سورة النساء-٢٩ - ٣٠

فطوبى للذين تمسكوا بهديه وساروا على نهجه والتزموا حكمه... وويل للذين أعرضوا عن الذكر وويل مما يكسبون. ﴿ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى* قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا* قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى* وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه. ولعذاب الآخرة أشد وأبقى *﴾(١)

أما بعد :

فإن الله جل جلاله وعظم شأنه... هو خالق الخلق العالم بما ينفعهم وما يضرهم وبما يفسد أحوالهم ونظام حياتهم، وهو العالم بسرهم وعلانيتهم وما توسوس بهم نفوسهم. ﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير*﴾(٢)

وقد حدد الغاية والقصد من خلقه للإنس والجن فقال جل شأنه ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون*﴾(٣)

الخالق العليم الخبير الحكيم... الذى حدد لعباده الغاية والقصد لم يتركهم فى الحياة الدنيا هملا، بل رسم لهم بواسطة شرائعه المنزلة على رسله منهاج العبادة والحياة والسلوك والمعاملات المؤدى الى سعادة الدارين ﴿... ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون*﴾(٤) ، ﴿ إن الحكم إلا لله. أمر ألا تعبدوا إلا إياه...﴾(٥)

---

١ - سورة طه - ١٢٤ - ١٢٧

٢ - سورة الملك - ١٤

٣ - سورة الذاريات - ٥٦

٤ - سورة المائدة - ٥٠

٥ - سورة يوسف - ٤٠

وأمرنا باتباع شريعته ونهانا عما سواها فقال : ﴿ اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء، قليلا ما تذكرون*﴾(١) ، ﴿ ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون*﴾(٢) ، ﴿ وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك، فإن تولّوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم، وإن كثيرا من الناس لفاسقون* أفحكم الجاهلية يبغون، ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون*﴾(٣)

فما هناك شعبة من شعب الحياة ولا ناحية من نواحيها إلا وقد تناولتها الشريعة وأوضحت للناس فيها الخير من الشر والطاهر من الخبيث والصحيح من الفاسد وأرشدت إلى الطريق والوسائل التى يجب على الناس أن يسلكوها ويعمروا بها دنياهم وأخراهم فى كل زمان ومكان.

*

ومن أهم العلوم الموصلة إلى معرفة أحكام الله تعالى فى كتابه وسنة نبيه ﷺ علم الفقه، فقد اهتم به منذ القدم علماء أتقياء من أعلام الهدى وأئمة الصلاح والدين وسهروا على خدمة الطريق المبين والصراط المستقيم، وبذلوا جهدهم لإستنباط أحكامه وتحرير قواعده وجمع مسائله وبيان طرق الاستدلال لأحكامه وكشف أسراره وتوضيح مبهماته... وخلفوا لنا تراثا لم يشهد تاريخ البشرية له مثيلا وكنزا عظيما لم تسبق إليه أمة من الأمم، فما علينا إلا أن ننفض الغبار عن هذه المآثر ونكشف الستار عن جواهر هذا الكنز العظيم ليعم الناس نفعها وينتشر نورها.

---

١ ـ سورة الأعراف - ٣

٢ ـ سورة الجاثية - ١٨

٣ـ سورة المائدة - ٤٩-٥٠

ولاشك أن كتاب الأسرار للقاضى أبى زيد الدبوسى رحمه الله جوهر من جواهر هذا الكنز العظيم ودر من درره الثمين، ولذا أحببت أن أشارك الأخوة الذين بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنوره فى تحقيق هذا الكتاب الجليل ذى المكان العلمى الرفيع، والله الهادى الى سواء السبيل،

* خطة البحث

وقد جعلت هذا البحث فى قسمين : قسم للدراسة، وقسم للتحقيق،

أما قسم الدراسة فقد جعلته فصلين :

الفصل الأول : فى التعريف بالمؤلف، وقد تضمن المباحث التالية :

المبحث الأول : عصر المؤلف سياسيا واجتماعيا وعلميا

المبحث الثانى : اسمه ونسبه مولده ووفاته

المبحث الثالث : نشأته وشيوخه وتلامذته

المبحث الرابع : مكانته العلمية ومؤلفاته

الفصل الثانى : فى التعريف بالكتاب، وقد تضمن المباحث التالية :

المبحث الأول : إسم الكتاب ونسبته إلى المؤلف

المبحث الثانى : منهج المؤلف فى الكتاب

المبحث الثالث : مصادر المؤلف فى الكتاب والمصادر التى نقلت عن الكتاب،

المبحث الرابع : ملاحظات على الكتاب

المبحث الخامس : تعريف نسخ المخطوطة و وصفها
المبحث السادس : منهج التحقيق

*

و أما القسم الثانى فهو فى تحقيق نص كتاب البيوع والصرف والإجارات والشركة والمأذون والوكالة والقسمة والغصب والكفالة والمضاربة و المزارعة والوقف من كتاب الأسرار .

و ينتهى البحث بالخاتمة و الفهارس .

و الله ولى التوفيق

و أسأل الله أن يسلك بنا سبيل الراشدين و أن يهدينا صراطه المستقيم و أن يمن علينا بالتفقه فى الدين و أن يرزقنا الإخلاص و حسن اليقين .

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

شرف الدين على قالاى
مكة المكرمة

- ●●● -

٢٦٢٠

الفصـــــــــــل الأول

التـــعريف بالمؤلف

ويشـــتمل على ما يلى :

المبحث الأول : عصر المؤلف سياسيا وإجتماعيا وعلميا

والمبـــــحث الثانى : اسمه ونسبه ومولده ووفاته

والمبحث الثالث : نشأته وشيوخه وتلاميذه

والمبحث الرابع : مكانته العلمية ومؤلفاته

المبحث الأول

عصر المؤلف سياسيا وإجتماعيا

لقد عاش الإمام القاضى أبو زيد الدبوسى الثلث الأخير من القرن الرابع والثلث الأول من القرن الخامس الهجرى(١) ، فيعتبر هذا العصر عصر تمزق وتشقق وصراع على الحكم والسلطة وقلاقل سياسية، وذلك من نتائج ضعف الخلافة العباسية، فقد كان الخليفة العباسى فى وضع ليس له إلا سلطة اسمية على بغداد وما حولها.

وكان خلفاء بنى العباس رجالا أقوياء وساسة عظماء فى بداية عهدهم وكانوا يديرون شؤون الخلافة بالكفاءة والدراية، وكانت بغداد هى المركز الرئيسى الفعلى للدولة الاسلامية، وكذلك كانت مركزا للعلم والمعرفة والثقافة

وبلغت الخلافة العباسية أعلى الازدهار فى عهد هارون الرشيد وهو خامس خلفاء بنى العباس. (١٧٠-١٩٨هـ)

استمرت سيطرة الخلفاء على كل أنحاء الدولة الاسلامية مع اتساع رقعة الدولة وكونها مترامية الأطراف من حدود الصين إلى المحيط الأطلسى، بقى الخليفة مطاعا والدولة قوية إلى نهاية الثلث الأول من القرن الثالث.

وحينما توفى الخليفة المأمون بن هارون الرشيد سنة ٢١٨هـ بعد ما أوصى لأخيه أبى اسحاق محمد المعتصم بالله(٢) بايع الناس عامة المعتصم إلا بعض الجنود

---

١ ـ أى بين سنة ٣٦٧ وسنة ٤٣٠هـ وسوف يأتى التفصيل فى مولده ووفاته رحمه الله.

٢ ـ هو أول من أضيف اسم الله تعالى إلى لقبه من الخلفاء، وهو بانى مدينة سامرا سنة ٢٢٢هـ حين ضاقت بغداد بجنده.

وهو فاتح عمورية من بلاد الروم الشرقية التى كان يقدسها الروم وخبر فتحها مشهور. (الأعلام ١٢٧-١٢٨)

فإنهم بايعوا العباس بن المأمون، فاستدعى المعتصم العباس فأجابه وبايعه وخرج الجند ونصحهم بمبايعة المعتصم فبايعوه.

وذلك أول مرة تتدخل الجند فى أمر الخلافة(١)

وفى أثناء عودته من فتح عمورية بلغه أن العباس بن المأمون يكيد له وينوى قتله فأمر بسجنه فسجن ومات بعد ذلك بقليل.

وفى سنة ٢٢٧هـ توفى المعتصم - وعمره ثمان وأربعون سنة - وبويع بعده ابنه الواثق بالله هارون. ولما تولى الواثق حصلت فتنة بدمشق فأرسل إليها جيشا أعاد السكينة إليها، وكان له وزير تركى اسمه أشناس، أعطى إليه الواثق علامات الإمارة، وهى : تاج ووشاهين.

ومن ثم ابتدأ وفود قبائل الترك إلى بلاد العراق ودخولهم فى الوظائف العالية خصوصا الجندية، وهو الأمر الذى أدى إلى تدخلهم فى أمور الخلافة واستيلائهم على السلطة الفعلية.

ومما أدى إلى ضعف دولة العباسيين - أيضا - جعلهم بلاد خرسان وراثية تقريبا على عائلة طاهر بن عبدالله الخزاعى.(٢)

توفى الواثق فى سنة ٢٣٢هـ. واختلف فيمن يعين بعده : فقال فريق بمبايعة ابنه محمد. وقال آخر بعدم صلاحيته لصغر سنه. وأخيرا أتفق على مبايعة المتوكل جعفر بن المعتصم وأصبح هو عاشر خلفاء بنى العباس.

---

١ ـ مقدمة تاريخ الدولة العلية العثمانية ص ٤٦

٢ ـ المرجع السابق ص ٤٨

وشرع المتوكل فى نقل مركز حكومته إلى دمشق ونقل إليها دواوينه، ولم يقم بها إلا شهرين فى سنة ٢٤١هـ ثم عاد إلى سامرا وقتل سنة ٢٤٧هـ وقتله بعض مماليكه باتفاق مع ابنه المنتصر وبغا الصغير الشرابى وقتل معه وزيره الفتح بن خاقان.

ثم حصلت البيعة لابنه المنتصر لكن لم تطل مدته، بل توفى فى ٤ ربيع الأول سنة ٢٤٨ وعمره خمس وعشرون سنة ونصف ومدة خلافته ستة أشهر.

وبويع بعده أحمد المستعين بالله بن محمد المعتصم، ولم يرغب رجال الدولة خصوصا الأتراك مبايعة أحد أولاد المتوكل

وبذلك ازداد تدخلهم فى انتخاب الخلفاء وعزلهم، بل وقتلهم حتى صار الأمر بيدهم.

وزادت الفتن بين العرب والأتراك فى خلافة المستعين ، واستقر نفوذ عائلة طاهر بن عبدالله بخرسان، ولما توفى طاهر بن عبدالله سنة ٢٤٨ عين المستعين ولده محمد بن طاهر.

فكانت الأحوال فى غاية الاضطراب مدة حكم المستعين وكثر الفساد وسعى كل عامل فى الاستقلال بما ولى عليه، وضعفت الحكومة حتى صارت ألعوبة فى أيدى أصحاب الدسائس، وزادت الفتن - أيضا - بين أحزاب الأتراك.(١)

وقد استمرت الاضطرابات والفتن بأشكال متعددة وألوان مختلفة إلى أيام آخر الخلفاء العباسيين ببغداد أبى أحمد عبدالله المعتصم بالله بن المتصر بالله الذى قتله التتار سنة ٦٥٦هـ.

---

١ ـ مقدمة تاريخ الدولة العثمانية ص ٤٧-٤٨

وقد اتصف الخلفاء العباسيون فى هذه الفترة بالضعف وتقلص النفوذ والانهيار ووقعوا تحت سيطرة الوزراء والأمراء والسلاطين وزادت الفوضى يوما بعد يوم على حسب الأوضاع والتقلبات السياسية والاقتصادية فى مختلف مدن الدولة.

وكان الحاكم الفعلى لدار الخلافة فى بداية فترة الضعف العنصر التركى الذى سيطر على الجيش.

ثم انتقل إلى أمراء بنى بويه بعد دخول أحمد بن بويه بغداد سنة ٣٣٤هـ وخلع الخليفة المستكفى بالله(١) عليه الخلع وحصوله على لقب «معز الدولة» منه وجعله أمير الأمراء.(٢)

وهو أول من لقب به من آل بويه، ولقب أخاه على «عماد الدولة». وأخاه الحسن « ركن الدولة» وأمر أن تضرب ألقابهم وكناهم على الدراهم والدنانير.(٣)

إن الخليفة العباسى حتى نهاية عصر نفوذ الأتراك مع تقلص نفوذه كان يتمتع ببعض الامتيازات والحقوق التى ورثها منذ قيام الدولة العباسية سنة ١٣٢هـ، وكانت تلك الامتيازات رمزا لسيادة الخلفاء العباسيين السياسية والدينية، وتشمل حق الخليفة فى تعيين وزير يعاونه فى إدارة شئون الدولة وإقامة الخطبة له فى المساجد ونقش اسمه على السكة، وضرب الطبول أمام داره فى أوقات الصلوات الخمس

---

١ ـ هو عبدالله بن على المستكفى بالله بويع له سنة ٣٣٣هـ وقبض عليه وخلع وسملت عيناه وأودع السجن سنة ٣٣٤هـ ـ استمرت خلافته سنة وأربعة أشهر ويومين. وتوفى فى السجن فى سنة ٣٣٨هـ وله من العمر ست وأربعون سنة وشهران.

(البداية والنهاية ٢١٠/١١، ٢١٢، ٢٢٢)

٢ ـ البداية والنهاية ٢١٢/١١، والبويهيون والخلافة العباسية ص ١٧٦-١٧٧

٣ ـ الكامل ١٧٦/٨ والبداية والنهاية ٢١٢/١١ والبويهيون والخلافة العباسية ص ١٧٧

والاحتفاظ بضياعة السلطانية، وكما كان من حقه تعيين الأمراء والقضاء والعدول وأصحاب الحسبة ونقباء الأشراف وأمراء الحج وخطباء المساجد ومنح الألقاب.

ولما انتقلت السلطة إلى البويهيين تغير الحال عما كان عليه فى السابق، فاستولوا على جميع أملاك الخليفة وذخائره وخصصوا له راتبا يوميا قدره خمسة آلاف درهم لم يصله بانتظام ثم قطع معز الدولة هذا الراتب وحدد له اقطاعات يعيش منها.

كما جعلوا وظيفة أمير الأمراء وراثية فى الأسرة البويهية ظلت بأيدى أحفادهم حتى سنة ٤٤٧هـ(١)

وبدأت أعمال العنف والغدر من جانب البويهيين بالنسبة للخليفة بعد اثنى عشر يوما من دخوله بغداد - أى فى ٢٢ من جمادى الآخرة سنة ٣٣٤هـ. قال ابن كثير فى تاريخه : «لما كان اليوم الثانى والعشرين من جمادى الآخرة حضر معز الدولة إلى الحضرة فجلس على سرير بين يدى الخليفة وجاء رجلان من الديلم فمدا أيديهما إلى الخليفة فأنزلاه عن كرسيه وسحباه فتحربت عمامته فى حلقه ونهض معز الدولة واضطربت دار الخلافة حتى خلص إلى الحريم وتفاقم الحال، وسيق الخليفة ماشيا إلى دار معز الدولة فاعتقل بها وأحضر أبو القاسم الفضل بن المقتدر فبويع بالخلافة وسملت عينا المستكفى بالله وأودع السجن فلم يزل به مسجونا حتى كانت وفاته فى سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة.»(٢)

---

١ ـ الكامل ١٧٧/٨، ٦١٠/٩-٦١٢ والبداية والنهاية ٢١٢/١١، ٦٦/١٢ والبويهيون والخلافة العباسية ص ١٧٨

٢ ـ البداية والنهاية ٢١٢/١١

وفى سنة ٣٨١هـ أرسل بهاء الدولة أبو نصر بن عضد الدولة البويهى إلى الخليفة الطائع لله أبى بكر عبدالكريم بن الفضل المطيع لله وسأله الإذن فى الحضور فى خدمته ليجدد العهد به فأذن له الخليفة فى ذلك وجلس له كما جرت العادة، فدخل بهاء الدولة ومعه جمع كثير، فلما دخل قبل الأرض وأجلس على كرسى، فدخل بعض الديلم كأنه يريد أن يقبل يد الخليفة فجذبه فأنزله عن سريره، والخليفة يقول : ﴿إنّا لله وإنّا إليه راجعون﴾ وهو يستغيث ولا يلتفت إليه، ولفوه فى كساء وحملوه إلى الخزانة بدار المملكة، فنهبت الخزائن والحواصل وأشياء من اثاث دار الخلافة حتى أخذت ثياب الأعيان والقضاة والشهود وجرت أحداث عظيمة جدا،

رجع بهاء الدولة إلى داره وكتب على الطائع كتابا بالخلع من الخلافة وأشهد عليه من الأشراف وغيرهم أنه قد خلع نفسه من الخلافة وسلمها إلى القادر بالله، ونودى بذلك فى الأسواق(١) ،

لاشك أن من الأسباب الرئيسية لسوء معاملة البويهيين لخلفاء بنى العباس تعصبهم للشيعة حتى وصل تفكيرهم فى أول الأمر إلى محاولة نقل الخلافة من البيت العباسى إلى البيت العلوى،

قال ابن كثير : «لما قدم معز الدين بغداد وقبض على المستكفى وسمل عينيه استدعى بأبى القاسم بن المقتدر بالله... وبويع له بالخلافة ولقب بالمطيع لله وبايعه الأمراء والأعيان ، وضعف أمر الخلافة جدا حتى لم يبق أمر ولا نهى ولا وزير أيضا ، وإنما يكون له كاتب على أقطاعه، وإنما الدولة ومورد المملكة ومصدرها

---

١ ـ الكامل ٧٩/٩-٨٠ والبداية والنهاية ٣٠٨/١١-٣٠٩

راجع إلى معز الدولة، وذلك لأن بنى بويه ومن معهم من الديلم كان فيهم تعسف شديد، وكانوا يرون أن بنى العباس قد غصبوا الأمر من العلويين، حتى عزم معز الدولة على تحويل الخلافة إلى العلويين، واستشار أصحابه فكلهم أشار عليه بذلك إلا رجلا واحدا من اصحابه كان سديد الرأى فيهم، فقال : لا أرى ذلك لك، قال : ولم ذلك؟ قال : لأن هذا خليفة ترى أنت واصحابك أنه غير صحيح الإمارة حتى لو أمرت بقتله قتله أصحابك، ولو وليت رجلا من العلويين اعتقدت أنت وأصحابك ولايته صحيحة، فلو أمرت بقتله لم تطع بذلك، ولو أمر بقتلك لقتلك أصحابك،

فلما فهم ذلك صرفه عن رأيه الأول وترك ما كان عزم عليه للدنيا لا لله عز وجل،»(١)

هكذا جرت سنة الله، ولو حدث إلغاء الخلافة العباسية السنية ربما تعرض العالم الاسلامى - وعلى وجه الخصوص الشرقى - لحروب أهلية دامية لا يعرف مداها إلا الله سبحانه وتعالى العليم الخبير لعدم رضى السامانيين والغزنويين والآخرين من السنيين الذين هم كانوا أغلبية فى العراق وفى إقليم الجبل وفى شيراز وما جاورها،

مع إسارة بنى بويه معاملة الخليفة العباسى وتفردهم بالحكم دونه واستبدادهم بالسلطة بعد تقلدهم منصب أمير الأمراء استقر أمر الخلفاء فلم يعودوا يعزلون بسرعة كما كان الحال قبلهم، وعلى سبيل المثال أن خلافة المطيع لله بن المقتدر استمرت ٢٩ سنة (من سنة ٣٣٤ إلى سنة ٣٦٣هـ)، وخلافة الطائع لله ابن المطيع لله ١٨ سنة (من سنة ٣٦٣ إلى سنة ٣٨١هـ) وخلافة القادر بالله بن الأمير إسحاق بن المقتدر ٤١

---

١ ـ البداية والنهاية ٢١٢/١١-٢١٣